# التجديد الاصولي للشيخ محمد رضا المظفر

م.د نصيف محسن صعيصع الهاشمي

م.م حسين خليل ابراهيم

## المستخلص

برز من الفقهاء الذين تصدوا لدراسة احكام الشريعة الشيخ المظفَّر، مؤسِّس كلية الفقه في النجف الأشرف، والرائد في تجديد علم الأصول وتهذيبه. وتتجلى هذه التجربة الرائعة في كتابه الرائع «أصول الفقه»، الذي يعد نقلة نوعية بين الكتب الأصولية، ولاسيما الدرسية منها. وقد تمكن الشيخ المظفر في هذا الكتاب من أن يذيب لغة الأصول المعقدة والجافة في قوالب لفظية سهلة سيالة، خفيفة على العقول، عميقة في المعقول. والأهم من ذلك الأسلوب التربوي الذي يُرشّد الطالب ويبنيه علمياً.

وتجدر الاشارة الى ان أصحاب التيار التجديدي ترى بان علم الأصول صار ينزع إلى التنظير والمثالية والتجرد، ويبتعد أكثر عن الواقعية والعملية، مما جعل علم الأصول يفتقد ارتباطه بالميادين العلمية الأخرى، مع أن طبيعته تفرض عليه الارتباط الوثيق بها، كالدراسات الإنسانية، مثل: النفس، والاجتماع، وعلم اللغة العام، والقانون، وغيرها. ويحتاج علم الأصول إلى فتح أبواب علمية جديدة من داخل علم الأصول، كالدراسات المقارنة، وغيرها.

وقد خطط الشيخ المظفر بتعامله الجديد والمتوازن مع الفكر المستقبلي، فرسم الأبعاد العلمية لمدرسته ، واستطاع ان يعبئ اسلوباً في الكتابة يتماشى مع الطالب وضمن الفترة الزمنية انذاك ، فوزع الممفردات المنهجية على ما ارتأى آخذاً بالخطة والعرض الجديدين لاسيما مواد الدرس مثل المنطق والعقائد الأمامية واصول الفقه، وبسياقات مرنة في العرض والصياغة والتبويب .


## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ونعمه ، والصلاة والسلام على أشرف بريته محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين

وبعد :

من الواضـــــح : أنّ علم الأُصول وقواعده السديدة يبتنى عليه استنباط الأحكام ، وعليه يتفرّع حجّية أخبار الآحاد ، وحجّية ظواهر الكتاب والسنّة ، و يتوقّف القواعد المعتبرة التي بها الجمع بين العمومات ومخصّصاتها والإطلاقات ومقيّداتها . إلى غير ذلك من العلوم التي يتوقّف عليها فهم مرادات الكتاب والسنّة وثبوت حجّية ما به يستدلّ على الأحكام .

فالفقيه المتضلَّع لا محيص له من أن يكون مضطلعاً بهذه الأركان حتّى يتمكَّن من التفقّه واستنباط أحكام الله تعالى في الشريعة الإسلاميّة .

ويرى كثيرٌ من العلماء والمحققين أن علم الأصول أصيب بالتخمة والتضخم، ودخلت فيه كثير من المسائل التي لا ربط ولا علاقة لها بعلم الأصول. ولهذا يرون أن الحل الأفضل هو تهذيب علم الأصول، وحذف المسائل التي لا فائدة منها. وربما تكون أشهر محاولة هي للسيد السبزواري في كتابه " تهذيب الأصول" .

وعليه يجب على علم الأصول أن يتخطى حاجز المذهبية؛ لأن علم الأصول عند كل المذاهب الإسلامية هو علم الأصول، وإن تغايرت آراؤهم واختلفت، فالاختلاف شيء طبيعي. وعليه فلا بأس بالانفتاح لأجل تلاقح الأفكار والنظريات .

وارتاى الباحث تقسيم البحث على مطالب ثلاثة ، تناول المطلب الاول : السيرة الشخصية والعلمية ، بينما اشتمل المطلب الثاني على جهود الشيخ المظفر في حركة الاصلاح العلمي ، واما المطلب الثالث فقد اشار الى التجديد الاصولي لدى الشيخ المظفر ، واخيرا ختمت المطالب بخلاصة لاهم النتائج وفهرس بالمصادر والمراجع .

وفي نهاية المطاف اساله تعالى ان يوفقنا في هذا الجهد وان يتقبله بقبول حسن .

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

المطلب الاول : السيرة الشخصية والعلمية:

اولا : اسمه وولادته :

الشيـــــــخ المظفر: هو محمد ر ضا بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن الشيخ احمد بن الشيخ مظفر الصميري الجزائري المظفر من ال مسروح ، من عرب المضرية ، وهو فقيه من اهل النجف عراقي الجنسية . ([1])

ولد الشيخ في اليوم الخامس من شعبان عام ١٣٢٢ هـــ - ١٩٠٤ م .([2])

ثانيا : نشأته.

نشأ الشيخ المظفر في البيئة النجفية ، وتقلب في مجالسها ونواديها وحلقاتها ومحاضرها ومدارسها ، وحضر فيها حلقات الدراسة العالية ، وابتدأ حياته الدراسية بما يتعارف عليه الطالب النجفي من حضور الدراسات الأدبية والفقهية والأصولية والعقلية . وتتلمذ على الشيخ محمد طه الحويزي في الأدب والأصول كما أتقن الشعر ، وبرع في ذلك كله ، وتتلمذ على غيره من أساتذة دروس مرحلة السطوح في ذلك الوقت ، وبرز الشيخ الفقيد في ذلك كله .

وبعد أن أنهى الدور الإعدادي ( السطح ) تفرغ للدراسات العالية في الفقه والأصول والفلسفة .

وحضر فيها على أخيه الشيخ محمد حسن مع أخيه الآخر الشيخ محمد حسين كما حضر درس الشيخ آقا ضياء الدين العراقي في الأصول ودرس الشيخ مرزا محمد حسين النائيني في الفقه والأصول وحضر بصورة خاصة أبحاث الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله في الفقه والأصول والفلسفة الإلهية العالية ، وانطبع الشيخ المظفر كثيرا بآراء أستاذه الشيخ الأصفهاني في الأصول والفقه والفلسفة وجرى على نهجه في البحث في كتابه ( أصول الفقه ) ، حيث تبع منهجه في تبويب الأصول ، كما يشير هو إلى ذلك في ابتداء الكتاب ، كما تأثر بمبانيه الخاصة على ما يظهر ذلك من خلال كتابه الكبير ( أصول الفقه ) .([3])

ثالثا : اثاره العلمية : شكل النشاط العلمي والكتابة والتأليف جزءا مهما من حياة الشيخ ، وهذا الجهد الكبير الذي كان يبذله يقترن بكتاباته جمال التعبير وسلامة الأداء وجودة الصياغة وروعة العرض بخصوبة المادة وجودة

المحتوى ، وتنوعت اثار الشيخ المظفر العلمية مابين كتاب او بحث او مقال وغيرها ، وسنعرض غيضا من فيض اثاره العلمية على النحو الاتي :

أولا : كتبه :

١. **أصول الفقه :** كتب هذا الكتاب سنة ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م ونقرأ في مقدمته ما كانت عليه نية المؤلف **(رحمه الله)** بقوله (وضع هذا الكتاب لتبسيط اصول هذا الفن للمبتدئين يعينهم على الدخول في بحره العميق عندما يبلغون درجة المراهقين وهو الحلقة المفقودة بين كتاب معالم الأصول وبين كفاية الأصول يجمع بين سهولة العبارة والاختصار وبين انتقاء الآراء الحديثة التي تطور اليها هذا الفن . (٤)

وقد طبع لأول مرة في النجف بتصدير الإمام الخوئي عام ١٣٧٨هـ –١٩٥٩م في مجلدين ، صدر مؤخرا كتاب تتميم اصول الفقه للحجة الشيخ ميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي، وهو أحد تلامذة الشيخ المظفر وقد بحث فيه (اصالة البراءة، اصالة الأشتغال، اصالة التخيير) (٥)

وقد وضع كتاب أصول الفقه لسد الفجوة التي يعاني منها الطالب بانتقاله من معالم الأصول إلى دراسة الكفاية، للفارق المنهجي بينهما .

٢. **المنطق :** يقع في ثلاث اجزاء، ومن الكتب المقررة في دراسة مدرسة النجف. (٦)

ولقد امتازت كتاباته فيه بما يلي :

لم يؤسس لبحث الصناعات مباحث خاصة بها في كتب المنطق فادخلها الشيخ رحمه الله بصورة موسعة وممنهجة مستفيداً من علمي الاجتماع والنفس في دراستها.

ما تناول في امثلته وتمارينه من الوسط البيئي الذي يعيشه طالب العلم لاكتساب المهارة والخبرة.

٣. **عقائد الأمامية** : ألّف كتاب (عقائد الإمامية) ليكون صورة واضحة لمعتقدات الشيعة الإمامية في أصول الدين الإسلامي وفروعه فقد لاقى قبولا حسنا حتى من بين مجتهدي الشيعة وعلمائها. (٧)

٤. **محاضرات الفلسفة الإسلامية :**

كراسات وزعها المؤلف على تلاميذه أثناء تدريسه الفلسفة الإسلامية في السنوات الثلاث الأولى لتأسيس كلية الفقه في النجف الأشرف.

٥. **السقيفة :**

الفه عام ١٩٥٢م واشرف على طبعه المجمع العلمي الثقافي لمنتدى النشر في المطبعة الحيدرية في النجف وهي دراسة موضوعية محددة لحدث تاريخي (قضية الخلافة)

٦. حاشية على كتاب المتاجر:

للشيخ الأعظم الأنصاري وهي عبارة عن تعليقات تقع في قسمي البيع والخيارات وقد وضح فيها آراء الشيخ الأنصاري مع عرض لمناقشات الأعلام لآراء الشيخ وانجز تحقيقه واعده للطبع الشيخ جعفر الكوثراني العاملي عام ١٤٠٣هـ .

ثانيا : بحوثه ومقالاته :

كانت جعبة الشيخ المظفر (رحمه الله) مليئة بالوفرة العلمية من مقالات وبحوث نشرت في كثير من الصحف والمجلات نذكر منها على سبيل الاجمال :

١ . فلسفة الكندي (نشر في مجلة النجف العدد ٨ السنة الخامسة ١٩٦٣ الافتتاحية.

٢ . الزعيم الموهوب السيد ابو الحسن الأصفهاني (نشر في مجلة الدليل النجفية).

٣ . الشيخ صاحب الجواهر (نشر في مقدمة كتاب (جواهر الكلام).

٤ . الشيخ النراقي وعلم الأخلاق (نشر في مقدمة جامع السعادات).

٥ . دراسة عن أستاذه الشيخ محمد حسين الأصفهاني(نشرت في مقدمة حاشيته على المكاسب).

٦ . أحلام اليقظة : مجموعة محاضرات فلسفية ركز فيها على دراسة صدر المتألهين الشيرازي باسلوب الحوار القصصي ونشر اكثره في المجلات العربية كالعرفان والعراقية كالهاتف والدليل والفكر وقد القيت أغلبها في قاعة المجمع الثقافي لمنتدى النشر.

٧ .فلسفة ابن سينا : في ترجمته ونقد بعض آرائه ونشر قسم منه في مجلة البذرة العدد الخامس بالذكرى الألفية لأبن سينا.

٨. محاضرات في التفسير (نشر قسم منها في مجلةالرضوان).

٩ . معجزة الإمام علي في علمه (بحث موسع القي في مهرجان اقيم في باكستان سنة ١٩٥٧ في مولد الإمام علي (ع) نشر في مجلة النجف ومجلة الرضوان الباكستانية.

١٠ . بين النجف وجامعة القرويين (بحث القي في المغرب في المؤتمر الذي أقيم هناك سنة١٩٦٠ وشارك فيه الشيخ (رحمه الله) ونشره في عدة مجلات.

١١ . علي مع الخلفاء :نشر في كتاب ( اسبوع الإمام ) ثم الحق بكتاب السقيفة.

١٢مذكرات مخطوط نسخة منها في مكتبة الشيخ عبد الحسن الغراوي.

١٣. صدر المتألهين ومنزلته العلمية، العدد ٨ س٢ ١٩٥٨ مجلة النجف.

١٤ صدر المتألهين مدرسته العلمية الجديدة، العدد ١١ س٢ ١٩٥٨ مجلة النجف.

١٥. نظرية الكوفة عند الإمام علي(ع)، العدد ٤ س١ ، ١٩٥٧ مجلة النجف.

١٦. حرية الفكر والإسلام (دراسات إسلامية)، العدد ١ س١، ١٩٥٦ مجلة النجف.

١٧. صدر المتألهين في منهجه العلمي في التأليف، العدد ١٢ س٢ ١٩٥٨ مجلة النجف.

١٨. العدالة والإسلام، العدد ٨ س٤ ١٩٦١ مجلة النجف.

١٩. مقالات ورسائل ونقود متفرقة نشرت اكثرها في مجلات متفرقة منها الهاتف والنجف والدليل والعرفان اللبنانية والاعتدال والبيان والهدى والكحلاء والفكر ومجلة المجمع العلمي العراقي والمرشد والنهج اللبنانية والرسالة القاهرية والرضوان الباكستانية .([٨])

ثالثا : مخطوطات الشيخ المظفر "رحمه الله" .

١ . بحوث في علم الكلام.

٢ . رسالة عملية في ضوء المنهج الحديث (انهى منه مقدمة في اصول الدين وبعض كتاب العبادات).

٣ . تاريخ الإسلام في السيرة كتبه بألفاظ الروايات والأحاديث.

٤ . النجف بعد نصف قرن.

٥ . مذكرات الشيخ وفيها من تاريخ الحركة الإصلاحية في النجف وتأسيس المنتدى وكلية الفقه وبقايا من مشروعه الثقافي.

٦ . تتمه أحلام اليقظة .

٧ . ديوان شعره الذي جمعه الأستاذ محمد رضا القاموسي.

٨ . عنده مذكرات خاصة وقد وضع عليها الحجر الشرعي بالتداول هذا ما اخبرني به أحد الباحثين ونسخة منها عنده .

٩ . المواريث / فقهي : لم يطبع.

وشـــــــــــــــارك في كثير من المناسبات من التأبين إلى المحافل الوطنية ، فمشاركاته تعبير عما يجول في نفسه (رحمه الله) . ([٩])

المطلب الثاني : جهود الشيخ المظفر في حركة الإصلاح العلمي .

برز المظفر في مساهماته الاصلاحية وكان عاملا نشطا وكاتبا لمقرراته، وبدأت تكبر الغايات وتتبدل صيغ العمل إلى اتجاهات اصلاح الدراسة الدينية حتى بدأ يشق طريقه بكل حزم وشدة، وتعامل مع المواقف بكل اصرار وتحد حتى بلغ مأربه في ان يتكاشف بمشروعه الثقافي ويؤسس جمعياته ومشاريعه الإصلاحية.

وكان الشيخ المظفر يحتل القمة من النشاط الإصلاحي في النجف الاشرف فقد ساهم في جميع الحركات الإصلاحية وادركها وكان فيها العضو البارز الذي يشار اليه بالبنان ؛ وقد قدر للشيخ فيما قدر له بفضل تجاربه الطويلة ان تتبلور لديـــــــــه فكرة الإصلاح وتنظيم الدراسة الامر الذي ساهم في معالجة الكثير من القضايا ذات الصلة. ([١٠])

وان يكشف بخبرته عن الجذور الأولى للمشكلة ويدعو إخوانه وأبناءه بإخلاص الى معالجه المشكلة من هذه الجذور والمشكلة في مكان يبدو عليه الشيخ نوه إليها في جهتين في مجال الدراسة وفي مجال الدعوة وفي مجال الدراسة لا حظ ان التدريس في مدرسة النجف الاشرف يتنظم في مرحلتين :- ١- مرحلة المقدمات والسطوح ٢- مرحله البحث الخارجي . ([١١])

ولاحظ الشيخ المظفر ان الكتب الدراسية التي يتعاطاها هذا الطالب في هذا الدور لا يزال يضفي عليها طابع الغموض والتعقيد مما يجعل الطلاب يصرفوا جهدا اكبر في فهم العبارة ، اضافة الى ذلك ان طابع الفردية هو الذي يغلب على الكتابة النجفيه والأبحاث التي يعرفها الكاتب النجفي فهي اقرب الى الجهد الفردي منه .[١٢]

ولقد شخص الشيخ المظفر ان أي محاولة لاصلاح الأوضاع انما تبدأ من خلال اصلاح الحوزة العلمية بأعتبارها مركز التوجيه الفكري والثقافي والسياسي ، واعتبر ان إصلاح المناهج

وأساليب الدراسة داخل الجامعة الدينية هي الخطوة الأولى في هذا السبيل ولكن كان يدرك حجم الصعوبات التي تواجهها أي عملية اصلاح في ذلك الجو المختلف الذي يرفض أي فكرة إصلاحية وقام الشيخ المظفر وبعد محاولات في انشاء جمعية تنهض بعملية الإصلاح وانها فشلت جميعا بسبب ما تعرضت له من هجمات مضادة من الأوساط المحافظة التي كانت ترفض أي فكرة للإصلاح .

لذلك وضع على عاتقه ان يسمو بمستوى المسؤولية المعبرة عن فكره حتى قام عام ١٩٣٥م من تأسيس منتدى النشر وهي مدرسة عالية للعلوم الإسلامية على غرار المدارس الحديثة وقد ضمت الهيئة لهذه الجمعية كلا من الشيخ محمد جواد الحجامي والشيخ محمد رضا المظفر والسيد موسى بحر العلوم والسيد يوسف الحكيم والشيخ هادي حمودي والشيخ علي ثامر وقد تطورت هذه المدرسة بعد ثلاث سنوات حتى تأسست كليه الفقه عام ١٩٥٨ م وتمخض في مشروع منتدى النشر اصلاح الأوضاع الدراسية في الحوزة العلمية واعداد جيل من العلماء الواعين والخطباء الكفوئين الذين يتحملون مسؤولية نشر الثقافة الإسلامية والاهتمام بقضايا الامة ومشاكلها.([١٣])

ولقد قوبل تحرك الشيخ رضا المظفر الإصلاحي بمقاومة شديدة من قبل العلماء التقليديين الذين وجدوا في مشروعه الإصلاحي خطرا يهدد الأوضاع الرائدة التي تعيشها الحوزة العلمية واعتبره البعض تهديدا للتشيع لأن كليه الفقه والمدارس الدينية انشأتها جمعية منتدى النشر.[١٤]

وكان القلق الذي يساور المعترضين انذاك هو موضوع الامتحانات الذي صور على انه مقدمة للقضاء على الحوزة العلمية وطريقة الدراسة التقليدية فيها . وعلى الرغم من هذه المعارضة الشديدة فقد شق المشروع طريقه بالنجاح نتيجة للصبر الدؤوب الذي تمتع به الشيخ محمد رضا المظفر .

وقد بدأ هذا المشروع بالتوسع اذ قامت جمعية منتدى النشر بإنشاء مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية في النجف والكاظمية .([١٥])

لقد شكل مشروع جمعية منتدى النشر البدايات الأولية لنشوء الحركة الإسلامية المعاصرة في العراق اذ تخرج من المدارس وكليات هذه الجمعية العديد من العلماء والمفكرين والخطباء

الذين يشكلون النواة الأولى للتحرك الإسلامي الحديث في العراق . ([١٦])

ويكفي هذا المشروع فخرا ان المفكر الإسلامي الكبير الامام الشهيد محمد باقر الصدر كان احد طلاب مدرسة منتدى النشر في الكاظمية قبل انتقاله الى النجف لمواصلة دراسته الحوزوية فيها عام ١٩٤٥.([١٧])

ولا يخفى على احد الجهد الذي قام به الاستعمار من اجل تغيير ثقافة الشعب العراقي والشعوب الإسلامية الأخرى مما حدا بالحوزة العلمية الى التفكير الجدي في مواجهة الغزو الثقافي القادم ومن المشاريع الجادة والتي تصب في هذا الهدف مما تبناه الشيخ المظفر من الفكرة الإصلاحية لمناهج الدراسة والتربية والتعليم وبذل الجهد في هذا السبيل وكان مما قام به :

أ ــ تأسيس جمعية منتدى النشر في النجف الاشرف سنه ١٩٣٨ (١٦) لتعميم الثقافة الإسلامية ونشر الإصلاح الاجتماعي بواسطة النشر والتأليف والتعليم . ([١٨])

ب- تأسيس كلية الفقه في النجف الاشرف في سنة ١٣٥٥ هــ والتي اعترفت بها وزارة الثقافة واعتبرتها جامعة رسمية بعد مرور سنة من تأسيسها بعد محاولات عديدة ودروسها كالتالي : الفقه الشرعي الاثنا عشري / الفقه التطبيقي والفقه المقارن ؛ أصول الفقه ؛ التفسير واصوله ؛ الحديث والدراية ؛ العلوم والتربية وعلم النفس ؛ الادب وتاريخه / علم الاجتماع / التاريخ الإسلامي / الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة / المنطق التاريخ المعاصر / أصول التدريس النحو والصرف وتعليم اللغات الأجنبية . ([١٩])

ج- تأسيس مدارس منتدى النشر قوبلت بقبول كبير من علماء حوزة النجف واسرها المشهورة وكان للاقبال العلم عليها دور في توسيعها وكان لمدارس منتدى النشر على مدى عشر سنين مقاطع دراسية دورة ابتدائية دورة متوسطة و ثانوية وامتدت الى مدن البصرة والكاظمية والحلة .([٢٠])

د – سعى الشيخ المظفر في احداث تجديد وتطور في البرامج الدراسية للحوزة العلمية الشعبية

بشكل منظم واصولي مبتعدا عما ليس له صلة قوية بالمطلب إضافة الى تأليف كتب دراسية بأسلوب جديد كالمنطق واصول الفقه وعقائد الامامية وتعد هذه الكتب الثلاثة أجزاء من البرامج الدراسية في الحوزة العلمية لا سيما حوزة قم . ([٢١])

هــ – تأسيس مكتبة عامة بجانب الصحن المطهر لأمير المؤمنين ( عليه السلام )

و – قرر ان يفتح معهد التربية وإعداد الخطباء لتفعيل دور التبليغ وتطويره وكان من أمنياته تأسيس كلية للوعظ والإرشاد فتأسست جمعية برئاسة الخطيب البارز في العراق الشيخ محمد علي قاسم

ز- اشترك في الكثير من المهرجانات الدينية التي عقدت في النجف الاشرف وخارجها .

ح – دعي الى مؤتمرات عديدة في انحاء مختلفة من البلاد العربية والإسلامية أمثال مؤتمر بغداد الكندي ، ومهرجان كراجي في باكستان بذكرى مولد الامام علي (ع) ، ومؤتمر جامعة القرويين بالمغرب في ذكراها الألفية ، والى غيرها من النشاطات العلمية والأدبية .([٢٢])

المطلب الثالث : التجديد الاصولي لدى الشيخ المظفر .

عندما نريد ان ندخل منتدى الشيخ الثقافي ونبين قيمة ما كتب وما ألف يطول الحديث وقد لا يسع مثل هذا المجال عن مادتها وما احتوت من اراء وملاحظات هذا من جهة ومن جهة اخرى لو اخذناه بكلام مشروعه الثقافي وما كتب فيه لظلمناه شخصاً وفكراً لأن ما كتبه في مشروعه الإصلاحي التجديدي كمنهج كان قد كلفه كثيرا من

المتاعب في انتقاء اللغة والأسلوب والارتقاء بمنهجية يحبو لها طالب العلم بشوق ليسد الثغرات التي حصلت في منهجية المدرسة العلمية النجفية قبله وارتأينا محاولة الإيجاز بالقدر المطلوب تعريفاً بالجهد الاصولي التجديدي لدى الشيخ المظفر.

ونعنـــــي بالتجديد في المنهج الاصولي هو التجديد من حيث الشكل العام ، والتجديد في الاسلوب وطريقة العرض ، أي : تجديد هيكلية الدرس الاصولي العامة ، من حيث تقسيم مباحثه الاصولية – مضامين ، أو موضوعات الاصول – الى اقسام ثم ابواب بحسب المادة الاصولية ، وعرضها بتعابير واضحة .

اما التجديد في المضمون ، وهو التجديد في المادة الاصولية نفسها لا التي يمكن التجديد فيها من غير المساس بالاصول العامة والثوابت الاصولية وفق ضوابط معينة .

والمضمون الاصولي او المادة الاصولية هي : الادلة النقلية المتفق عليها –الكتاب والسنّة – والمختلف فيها هي الاجماع والقياس ودليل العقل والعرف والمصلحة والاستحسان والذرائع وقول الصحابي ، نزولا الى الاصول العملية – الاستصحاب والتخيير والبراءة والاحتياط – ، اضافة الى تلك الاصول الاحكام الشرعية الوضعية – السبب والشرط والمانع والصحة والبطلان– ، والفاظ النصوص بلحاظ المعاني وضعا واستعمالا كالخاص – الامر والنهي والمطلق والمقيد – ، والعام ، والتخصيص ، وحقيقة اللفظ في المعنى ومجازه ، والمشترك اللفظي والمعنوي ، ودلالة النص منطوقا – النص الصريح – ، ومفهوما ( غير الصريح ) – الاشارة ، والاقتضاء ، والايماء – ، ومفهوم الموافقة والمخالفة ، ودلالة النصوص من حيث القطعية والظنية ( الظهور والخفاء ) تلك كلها مضمون اصول الفقه ، وعليه فمنها ثابت لايمكن التجديد فيه ، واخر متغير يمكن التجديد فيه .

وللخوض في هذا المطلب لابد من بيان الامور الاتية .

اولا : تعريف المنهج لغة واصطلاحا :

١ . المنهج لغة : بالنظر في كتب المعجمات لكلمة ( منهج ) نجد انها تدل على الطريق الواضح المستقيم .

وقال في الصحاح " النهج : الطريق الواضح ، وكذا المنهج والمنهاج ، وانهج الطريق أي استبان ، وصار نهجا واضحا بينا ، ونهجت الطريق اذا ابنته وأوضحته . (٢٣)

وقال ابن فارس : النون والهاء والجيم اصلان متباينان ، الاول : النهج : الطريق ، ونهج ولي الامر : اوضحه وهو مستقيم المنهاج .(٢٤)

وقال الإمام الطبريّ في تفسير قوله تعالى" لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً" ، وأما"المنهاج"، فإنّ أصله: الطريقُ البيِّنُ الواضح، ... ثم يُستعمل في كل شيءٍ كان بيِّنًا واضحًا سهلاً" . (٢٥)

٢ . المنهج اصطلاحا :

منهج البحث في الفقه = اصول الفقه)؛ لأن المنهج : مجموعة من القواعد العامة يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من افكار أو معلومات من اجل أن توصله الى النتيجة . (٢٦)

والمنهج ــ بشكل عام ــ مجموعة قواعد توصل من يتمسك بها إلى اكتشاف الحقيقة، وأصول الفقه: مجموعة قواعد توصل من يعتمدها إلى استنباط الحكم الشرعي من ادلته الشرعية.

والمنهج العلمي : خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية ، او حسية متعددة بغية الوصول الى كشف حقيقة ، او البرهنة عليها . ([٢٧])

ويلزم التنبيه على انّ كتاب (اصول الفقه ) للشيخ المظفر يجسد منهجاً متكاملاً فهو يستوعب ما أنتجه المنهج النقلي من قواعد أصولية والمنهج العقلي من تلك القواعد .

إذ ان المنهج التكاملي: " هو استخدام أكثر من منهج في البحث بحيث تتكامل فيما بينها في حال التطبيق مقابل المنهج المتخصص" . ([٢٨])

ثانيا : منهجية الشيخ المظفر : اتسمت منهجيته بجملة من النقاط نذكر منها .

أ- العلمية :

١ . دراسة منهجية الكتب المقررة علمياً ضمن مراحل المدرسة النجفية العلمية .

٢ . الوقوف على المنهجية الحديثة ، واعداد مؤلفاته بالشكل الذي يواكب الحياة .

٣ . وضع مناهج اكثر حداثة .

٤ . وضع خبراته وممارساته خدمة للمنهج المتطور في مشروعه الثقافي .

٥ . وضع مناهج تتساير وحركة الإصلاح بما تؤديه من مواكبة للتطور التربوي والدراسي لتحقيق أهدافه الإصلاحية في نشر الثقافة الدينية.

٦ . امتازت كتاباته بسلامة التعبير والوضوح.

٧ . تتضمن منهجيته التصدي لكل الكتابات المنحرفة

٨ . تمتاز منهجيته الكتابية بالاطناب ([٢٩] )

اما من الناحية التأسيسية فكان محبا لهذه الريادية ان يمنهج لها ويخطط ليضع امكاناته على وفق وضع ثقافي معين ليرسم لنا منهجه الإصلاحي.

وقد وضع الشيخ المظفر مناهجه على أساس المنهجية الحديثة المطوّرة التي تخدم الأسلوب والمعاصرة وتوثيق المبدأ اليقيني للأصول العقائدية من خلال الإعداد العلمي، وبيان مسوغاته دليل الهدف الإيجابي الموّزع على أدواته المعرفية بغية تشكيل رأي قائم على مبادئ الضرورة التحديثية متضمناً دقة تحديد الغرض المنشود وموافقاً لأصول معيارية تضع منهجيته على صعيد البناء الموضوعي، ليحل الكثير من إشكاليات التعقيد اللغوي والفكري بعرض آرائه وتشخيصاته لوضع (أصول الفقه) مطوّراً منهجياً ومنتجاً فهماً.

اضافة الى ذلك حاول الشيخ المظفر حل إشكاليات المفردات اللغوية عن طريق البحث اللفظي في الوضع هادفاً إلى أن انكشاف الشأن اللغوي يزيد في تسامي الروح والعقل، والدعوة إلى مفهوم تطابق اللغة مع الفكر هو التوجه النافذ في عصرنا ، وأشار بعض الباحثين إلى ذلك المفهوم

ملخصين رأيه بقوله "فعلم الأصول ليس فقط أنه يطور لغته بل المساهمة الكاملة في مجال التنظيرات اللغوية الأصولية، ومتطلباتها الاجتماعية والمعاصرة، بعيدة عن الأجواء الفلسفية". ([٣٠])

ومن هنا نقول إن المشاريع الدراسية بحاجة مستمرة إلى النظر وفق أساليب التحديث والتنظيم، ومن كل الجوانب المعرفية .

ب ــ سياقات عرض أصوله :

تناول موضوعاته بدءاً من الاختيار الموضوعي لكل مبحث مع معيار الانضمام الجامع هدفاً وغرضاً في ذلك المبحث ليكون قد حقق التوازن المبنائي لكل مبحث، وأدخل كل مسألة في بابها، كمبحث المشتق كان يُعد من المقدمات وأرجعه المصنف إلى مباحث الألفاظ، ومقدمة الواجب ومبحث الأجزاء ونحوهما كانت تعد من مباحث الألفاظ وهي من مباحث الملازمات العقلية، وهكذا مما يدخل في باب الموازنات الموضوعية منهجاً وتعلقاً، إضافة إلى عرض مناقشاته بأيسر الطرق الأصولية وصولاً إلى تحقق الفهم وعرضاً مشخصاً لأرائه وفق معيار (الحلقة المفقودة بين معالم الأصول وكفاية الأصول . ([٣١])

فالكتاب بأجزائه..وبما أنه محاولة تجديدية، يمر بكثير من القنوات التعليمية والتدريسية لا يخلو من مهمة التعامل على أنه من معامل المدرسة الشيعية وما وضع من البحث والآراء إلا إنجازاً توافقياً لذلك الخط .

وصنف الكتاب على منهج جديد في تبويب وتقسيم موضوعات هذا العلم ، تختلف عن سابقه في المؤلفات الاصولية في المدرسة الامامية اذ كانت تنحو اسلوب السرد للموضوعات الاصولية من غير تبويبها وتقسيمها على الرغم من اهميتها مثل كتاب ( قوانين الاصول للشيخ القمي ) ، فبعد المقدمة تناول المؤلف مضمون الاصول مباشرة ، ويبدأ الكلام على المشترك والحقيقة والمجاز ، وما بعده من الموضوعات الاصولية ، وقال بهذا الصدد : " اللفظ والمعنى اما ان يتحدا بان يكون لفظ واحد له معنى واحد فاللفظ متحد المعنى ، والمعنى متحد اللفظ ، أو لا ، فان تكثر منها فالألفاظ متباينـــــــــة سواء توافقت المعاني ، أو تعاندت ، وان تكثرت الالفاظ واتحدت المعنى فمترادفة " .([٣٢])

ج ــ ومن خصوصياته في البحث:

١. حاول التركيز على الموضوعات الأصولية ذات الصلة بعملية الاستنباط (ضمن تناوله للدليل ــ الأصل ــ) والذي يبدأ من تحديد المفاهيم.

٢. أهمل الأبحاث الدخيلة على الأصول.

٣. استعمل مبدأ الاختصار لبعض المواضيع والتي لا تستوجب الاستغراق في تفصيلاتها.

٤. نهض ببيان بعض المسائل الأصولية التي أغفلت عنها الكتب القديمة، فأثر بيانها (كالتحسين والتقبيح ) .

د ــ بيان الصياغة:

١. أنه استعمل اللغة الفصيحة في صياغة مطالب الكتاب.

٢. حاول أن يخلي أساليبه من التعقيدات اللفظية.

٣. وضح المصطلحات الأصولية وتحاشى الشرح المفصل الذي يؤدي بالمطالب الى الغموض والالتباس.

هـــ ــ خصوصيات أصول الفقه للمظفر:

في مجال التبويب:

أنه تأثر بمنهج أستاذه الأصفهاني واعتمد عليه ([٣٣]) والمطلع على كتاب أصول الفقه للعلامة المظفر (رحمه الله) يتبين له أسلوبه في استعمال الطرح الموضوعي لرأيه بعد مناقشة وجهات النظر وأحياناً يتناول الرأي المختار بعد أن يُمرر كل الاختلافات عبر بوابة القوة الدليلية من خلال انتقاء النص مع ملاحظة توافر شروط القطع والحجية.

وعند الاعتراض لشبهة قد يصطدم بها المصنف ستجده مريحاً بمناقشتها لأجل دفعها، ويخلص إلى مواقع ثمراته بنتيجة وتحقيق..أو ينتزع ثمرته من بعد تناول جملة من الأقوال ربما تكون لمذاهب أصولية على تلك المسألة ليخلص بتأسيس يبني عليه الرأي المختار الذي يكون حاسماً بجدولة تلك الآراء أو الأقوال والأخذ بأقواها دليلاً.

وتحكّم في منهجه على المباحث التي اعتمدها فكان حاذقاً في رسم التوزيع المنهج على خارطة البحث فتراه قد وزّع مفرداته المنهجية ورتب مواقعها. وناقل فيها بموجب الترابط الموضوعي وحسب ما تستدعيه الوحدة في الموضوع . ([٣٤])

وتظهر اهمية الكتاب انه اول كتاب علمي منهجي في علم الاصول بالقياس الى الكتب التي سبقته ، والتي الفت كمادة علمية اصولية يرجع اليها لغرض تحصيل المعلومة والتي تعبر عن اراء اصحابها في مختلف المسائل الاصولية .

## الخاتمة

من خلال ما تقدم نخلص القول لأهم النتائج الاتية :

١ . الملاحظ في شخصية المظفر يجد قوة في الاسهامات الادبية والعلمية ، ومتوزعاً اما بمقدمة كتاب أو تأليف أو وقع يراع في صحيفة، فكانت امداداته الفكرية رافداً هيأ الكثير من تلامذته للسير على خطى استاذهم من مثابرة وجدية في متابعة العلم اضافة الى بلورة الملكات مما جعل الرسالة الفكرية تنهض ــ معالجة ــ بقوة الهدفية والتربوية خطوط العلوم المعرفية بامكانات من التأسيس الجديد الذي يتمثل بالفكر الاصلاحي بغية مماشاة العصر وايدلوجياته العلمية والفكرية.

٢ . بتلك المسالك المعرفية وبتلك البيئة التي اعتصمت بالموروث الحضاري الهائل ما كان للشيخ المظفر إلا ان يوزع عبر مداراتها جدية ومثابرة وعزم، فنال حظاً من علوم آلية واستقلالية، تظافرت معها بصيرته وأناته وحركة قلمه المبدع ونشاطه العلمي، لتكوّن صورة ناصعة لنتائج تلك المرحلة التي كانت مخاضاً للعديد من النشاطات الدينية والثقافية والوطنية، والتي ساهمت في جعله خطاً جبهوياً على صعيد الاصلاح والتجديد.

٣ . يحس المتتبع في جهود الشيخ المظفر بوجود ارث حضاري كبير في متراكماته التي تحتاج

الى ذهنية متعاملة بتلك المرحلة بحيث اكسبتها خبرة في ميدانية العمل الاصلاحي والنهضوي، وكان تحركه قائماً على حسابات الدقة الموضوعية محاولاً الحفاظ على اساسيات الهيكلية العلمية القديمة ضمن محاولات التجديد والحداثة، وبموازنة ضامنة مطوّرة .

٤. ساهمت جهوده في خلق حالة جديدة على واقع المدينة العلمي والتي دعمها الفكر الاصلاحي والذي لاحقها نجاحاً الاقتدار الذاتي على مواصلة الهدف رغم الانعطافات التي زامنتها في مرحلة التكوين فكانت مخاض تلك الرؤى الواعدة ان تكون (كلية الفقه) في صدارة ذلك المشروع الثقافي الاصلاحي.

٥ . تميزت كتاباته في اصول الفقه والتي رافقتها جوانب الاصلاح المنهجي بسلاسة العبارة وتعدد المضامين ومنهجية بناءة في التبويب متوصلا بذلك التعاطي مع الجو الاكاديمي .

٦ .بين الغرض من تاليف كتابه (اصول الفقه) في الصفحة الثانية من طبعته الأولى بقوله " وضع هذا الكتاب لتبسيط اصول هذا الفن للمبتدئيين ليعينهم على الدخول في بحره العميق عندما يبلغون درجة المراهقين وهو الحلقة المفقودة بين كتاب معالم الاصول وبين كفاية الاصول يجمع بين سهولة العبارة والاختصار و بين انتقاء الآراء الحديثة التي تطور اليها هذا الفن " ، فهو كتاب كما وصف ضمن الموازنة الموضوعية في مباحثه وأخذ موقعاً دراسياً في مدرسة النجف العلمية وتوافدت عليه الشروح والتحقيقات والتعليقات مما يدلل على مظاهر ريادته العلمية في الكتابات الاصولية .

## المصادر والمراجع


خير ما نبدأ به القرآن الكريم .

١ . الاتجاه الاصلاحي عند الشيخ محمد رضا المظفر : محمد مرتضى ، ب . ت .

٢. اصول البحث، الفضلي، د. عبد الهادي مطبعت شريعت ، ط١ ،١٤٢٦ هـ .

٣ . أصول الفقه : محمد رضا المظفر( ت ١٣٨٣ه) ، الناشر ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم .

٤ . البحث النحوي عند الأصوليين : مصطفى جمال الدين . ب . ت .

٥ . تأريخ العراق السياسي المعاصر: الشيخ حسن مبشر، ب . ت .

٦ . جامع البيان عن تاويل آي القران : محمد بن جرير الطبري ( ت ٣١٠ه ) ، انتشارات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ن ، ١٤١٥ ه .

٧ . شرح عقائد الأمامية : محمد جواد الطريحي ، ب . ت .

٨ . الصحاح : الجوهري ( ت ٣٩٣ه) ، تحقيق : احمد عبد الغفور العطار ، الناشر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٧ هـ .

٩ . عقائد الامامية ، الشيخ المظفر ، تحقيق: حامد حنفي داود، انتشارات انصاريان ، قم ، د. ت.

١٠ . علماء في رضوان الله : محمد امين نجف ، انتشارات الامام الحسين عليه السلام ، ط٢ ، ١٤٣٠هـ .
١١ . قوانين الاصول : الميرزا القمي ( ت ١٢٣١ه) ، المطبعة الحجرية ، د. ت .
١٢ . مجلة الفرات ؛ عطر الافاق في علماء العراق؛ جمادي الثاني ٤٣٢هـ ؛ سير العلماء ؛ العدد ١٢٣.
١٣ . مخطوطة الشيخ عبد الحسين الغراوي عن نشأة الشيخ المظفر ونتاجاته العلمية.
١٤ . مدرسة النجف وتطور حركة الإصلاح فيها : محمد مهدي الاصفهاني ، ب . ت
١٥ . معجم اللغة العربية المعاصرة : احمد مختار ، الناشر ، عالم الكتب القاهرة ، ١٤٢٩ه .
١٦ . معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الناشر ، مكتبة الاعلام الاسلامي ، ١٤٠٤ه .
١٧ . المقدمات والتنبيهات : محمود قانصوه ، ب . ت .
١٨ . من مخطوطة الشيخ عبد الحسين الغراوي ( عن الشيخ محمد رضا المظفر في نشأته ونتاجه العملي.
١٩ . المنطق : الشيخ المظفر ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د. ت .
٢٠ . الندوة الفكرية، مجموعة بحوث عن الشيخ المظفر ومآثره / جامعة الكوفة، ١٩٩٧ .

**الهوامش**

[1] . عقائد الامامية ، الشيخ المظفر ، تحقيق : حامد حنفي داود ، انتشارات انصاريان ، قم ، د. ت : ١٢ .

[2] . الاتجاه الاصلاحي عند الشيخ محمد رضا المظفر : محمد مرتضى : ص ٢ ، وعلماء في رضوان الله : محمد امين نجف ، انتشارات الامام الحسين عليه السلام ، ط٢ ، ١٤٣٠هـ : ٤٦٧ ، وسير العلماء : حميد البغدادي : ٦٨ .

[3] . عقائد الامامية : الشيخ المظفر، انتشارات انصاريان ، قم ، ايران : ٢ – ٣ .

[4] . من مخطوطة الشيخ عبد الحسين الغراوي ( عن الشيخ محمد رضا المظفر في نشأته ونتاجه العملي .

[5] . كتيب أخرجه الى النور تلميذه الشيخ الميرزا غلام رضا قائلاً بأنها بحوث الشيخ محمد رضا المظفر وتحت عنوان (تتميم كتاب أصول الفقه.

[6] . ينظر : المنطق : الشيخ المظفر ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، د. ت ، ٣ / ٦ .

[7] . ينظر : عقائد الامامية : الشيخ المظفر: ص ٥ .

[8] . نقلت من مصادر اهتمت ببحوث الشيخ المظفر منها : شرح عقائد الامامية : محمد جواد الطريحي: ص١٧٦ وما بعدها. أنظر الندوة الفكرية، مجموعة بحوث عن الشيخ المظفر ومآثره / جامعة الكوفة، ١٩٩٧ .

[9] . شرح عقائد الإمامية: محمد جواد الطريحي: ص١٨١. ومخطوطة الشيخ عبد الحسين الغراوي عن نشأة الشيخ المظفر ونتاجاته العلمية.

[10] . مجلة الفرات ؛ عطر الافاق في علماء العراق؛ جمادي الثاني ٤٣٢هـ ؛ يسير العلماء ؛ العدد ١٢٣.

[11] . عقائد الامامية : المظفر ؛ الشيخ محمد رضا : ص ٧ .

[12] . م. ن : ص ٨ .

[13] . تأريخ العراق السياسي المعاصر: مبشر ؛ الشيخ حسن : ص ٢٩٧ .

[14] . مدرسة النجف وتطور حركة الإصلاح فيها : الاصفهاني : محمد مهدي : ص ١٢٩.

[15] . م . ن : ١٢٣ .

[16] . مدرسة النجف وتطور حركة الإصلاح فيها : محمد مهدي الاصفهاني : ص ١٢٩ .

[17] . مدرسة النجف وتطور حركة الإصلاح فيها : الاصفهاني : محمد مهدي : ص ١٢٩.

[١٨] . مجلة الفرات : عطر الافاق في علماء العراق : جماد الثانية ١٤٣٢ هـ ؛ العدد؛ ١٢٣ سير العلماء .

[١٩] . م . ن : ١٢٣ .

[٢٠] . م . ن : ١٢٣ .

[٢١] . مدرسة النجف وتطور حركة الإصلاح فيها : محمد مهدي الاصفهاني: ١٢٣ .

[٢٢] . مجلة الفرات : عطر الافاق في علماء العراق : جماد الثانية ١٤٣٢ هـ ؛ العدد؛ ١٢٣ سير العلماء .

[٢٣] . الجوهري ( ت ٣٩٣هـ ) ، تحقيق : احمد عبد الغفور العطار ، الناشر ، دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٤٠٧ه : ١ / ٣٤٦ .

[٢٤] . معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الناشر ، مكتبة الاعلام الاسلامي ، ط١ ، ١٤٠٤ه : ٥ / ٣٦١ .

[٢٥] . جامع البيان عن تاويل آي القران : محمد بن جرير الطبري ( ت ٣١٠ه ) ، انتشارات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ن ، ١٤١٥ ه : ٦ / ٣٦٥ .

[٢٦] . ينظر : الفضلي، د. عبد الهادي: اصول البحث، مطبعت شريعت ، ط١ ،١٤٢٦ هـ : ص ٦٧ .

[٢٧] . معجم اللغة العربية المعاصرة : احمد مختار، الناشر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٩ه : ٣ / ٢٢٩١ .

[٢٨] . ينظر: الفضلي، د. عبد الهادي: اصول البحث، مطبعت شريعت ، ط١ ،١٤٢٦ هـ : ص ٥.

[٢٩] . شرح عقائد الأمامية : محمد جواد الطريحي : ص١٩١ وما بعدها.

[٣٠] . البحث النحوي عند الأصوليين : مصطفى جمال الدين ، ب . ت : ص١٧ .

[٣١] . اصـــول الفقه : الشيخ المظفر( ت ١٣٨٣ه) ، الناشر ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم : ١ / ٤٨ .

[٣٢] . قوانين الاصول : الميرزا القمي ( ت ١٢٣١ه) ، المطبعة الحجرية ، د. ت : ١٠ .

[٣٣] . أصول الفقه : محمد رضا المظفر : ١ / ٤ . وأنظر الندوة الفكرية لمآثر الشيخ المظفر جامعة الكوفة/ ١٩٩٧ ص٧٤.

[٣٤] . المقدمات والتنبيهات : محمود قانصوه ، ب . ت : ١ / ٣٠ .